

أصناف التعدد اللغوي في الجزائر

وأثرها في التنمية اللغوية البشرية

صلاح الدين يحي

جامعة مولود معمري، تيزي-وزو،

النشر: 2018/11/01

القبول: 2018/10/25

الاستلام: 2017/03/27

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوعا يتسم بالتعقيد حينا وبالبساطة حينا آخر خاصة في حقل اللسانيات؛ حيث مثل موضوع التعدد اللغوي قضية قديمة في الدراسات العربية القديمة مع انفتاح اللغة العربية على الحضارات واللغات الأخرى كالفارسية والهندية واليونانية والرومانية... إلخ إلا أننا اليوم وبفضل اللسانيات وأدواتها المنهجية والعلمية أصبح ينظر للتعدد اللغوي بأنه آلية من الآليات اللغوية التي تُفرض على اللغة فرض ذاتها بين لغات العالم، وفرض قواعدها ومعاييرها الصوتية والصرفية والدلالية والنحوية.

الكلمات المفتاحية: التعدد، اللسانيات، الجزائر، التنمية اللغوية.

Types of linguistic pluralism in Algeria and their impact on human linguistic development

Abstract: This research deals with a complex topic at times and simple at other times, especially in the field of linguistics. Where the issue of linguistic pluralism was an old issue in ancient Arab studies, with the openness of the Arabic language to other civilizations and languages such as Persian, Hindi, Greek, Roman ... etc. However, today, thanks to linguistics and its methodological and scientific tools, it has come to view linguistic plurality as one of the linguistic mechanisms itself. Between the world's languages, and

imposing their phonemic, morphological, semantic and grammatical rules and standards.

Key words ; Pluralism, linguistics, Algeria, linguistic development

مقدّمة: إنّ من المواضيع المعاصرة التي اشتغل عليها الباحثون، وأثارت الفكر العربي وغير العربي واندھش فيها العالم وغير العالم والتي يتعايشها الناس في كل مكان وزمان، والأكثر من ذلك وسط المجتمع الواحد أو بالأخص الشيء الأهمّ أو الأكبر والعظيم ما يعيشه الأفراد وسط البناء العائلي الواحد وهذا الموضوع من المواضيع التي أعتقت رقاب الباحثين، وقبضت عقولهم في فلك البحث الطويل والعميق؛ وهو التعدّد اللغوي وأثره في التنمية البشرية فيأخذ هذا الموضوع أبعاداً كبيرة في المجتمعات الراقية والحضارية، ومن أهمّ القضايا والمسائل التي أرقت فكر الباحثين والمفكرين، وبهت بها المعاصرون، كيف أصبح التعدّد اللغوي مظهراً من مظاهر الحضارة والثقافة الاجتماعية لدى الشعوب، ولعلّ الجزائر من أكبر دول العالم التي تحظى بهذا الإرث الحضاري والثقافي والاجتماعي من دول العالم العربي وغير العربي، وتتمظهر هذه الأبعاد الحضارية والثقافية والاجتماعية والتاريخية للجزائر في ما ينتأ من جلاء في التعدّد اللغوي والفكري والحضاري، فالجزائر وكغيرها من دول العالم يمتلك الناس فيها تعددا لغويا بدءاً من اللغتين الرسميتين اللغة العربية، واللغة الأمازيغية، وفضلاً عن ذلك ما تشهده الجزائر من تعدّد لغوي ممن يستعمل اللغة الفرنسية التي ينطق بها الكثير من الأفراد، والتي تعود أسبابها إلى الاستعمار الفرنسي الذي دام قرناً ونصف قرن في الجزائر حتّى نطق بها الكثير، وامتدت في أجيال لاحقة غداة الاستقلال، وكذلك ما تعرفه اللغة الإنجليزية من لسان الجزائريين، والتي تعود أسبابها للتطور العلمي والتكنولوجي والقوة الاقتصادية التي تفرضها على دول العالم بأكمله، وتشهد هاتين الأخيرتين صراعاً كبيراً في المجتمع الجزائري بين مؤيّد لاحدهما، ومعارض للأخرى ويتجلّى ذلك في كلّ أقطار الوطن الجزائري فكلّ الجزائريين بكلّ مستوياتهم العلمية والثقافية والفكرية، يتمظهر فيهم بشكل أكثر وضوحاً في كلّ أسرة جزائرية باختلاف مستويات أفرادها ومستواهم العلمي والفكري والثقافي والاجتماعي، وطريقة التفكير واختلاف الوظائف المهنية؛ حيث يتمثل ذلك في تعدّد اللغوي للأفراد الأسرية والمجتمع الجزائري بصفة عامّة، وتتمثل أبعاد التعدّد اللغوي في الجزائر لما تزخر به في أبعادها اللغوية؛ حيث تتمتع الجزائر بثراء لغوي أو تنمية لغوية متنوعة تغني المجتمع بتنوع الفكر والعلم وتعدّد التفكير المنهجي الدقيق، وكما يظهر ذلك جلياً في الدول المتقدّمة والأكثر تقدّماً وتطوراً علمياً واقتصادياً ك(الولايات المتحدة الأمريكية ومعظم الدول الأوروبية)، وذلك ما ينتأ بشكل أكثر وضوحاً في تنمية الاقتصاد اللغوي؛ حيث أصبحت

الدول المتقدمة تنتج العلم والفكر والتطور من خلال مبدأ الاقتصاد اللغوي؛ لأن ذلك يتحقق في الثورة العلمية حيث أصبح ذلك بارزاً في التكنولوجيا المعاصرة في انتاج الثورة العلمية والمعلوماتية، وينتأ ذلك في الإنتاج العلمي والمعلوماتي، والوسائل التقنية المعاصرة تعبر عن ذلك في الأجهزة والآليات الأكثر تطوراً كالحاسوب وكل الوسائل التقنية المعاصرة التي شهدتها العالم وشهدتها كل الدول أو حتى الدول النامية والمتأخرة في التقانات المعاصرة كالهواتف النقاله والثورة الرقمية للغات والعلوم، والأدب الالكتروني، وأثارت وسائل الاتصال المعاصرة والمواقع الالكترونية موازين استخدام اللغات في عصر العولمة، وانتشار المعلومات والمعلوماتية، ومع ثورة الاتصالات والانفجار المعرفي مما أصبحت تُبَوِّئُ وفق النظرية التواصلية الحديثة التي تنمي الحصيلة اللغوية، والرصيد اللغوي للغات.

ويقول الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري في كتابه: «اللغة العربية والعولمة»: "وإذا كنا نسلم بأن العولمة تعود بالنفع والفائدة على الدول النامية، إن أحسنت هذه الدول التكيف معها، واستطاعت مواكبتها وتجنب سلبياتها؛ فإن هذا لا يمنعنا من القول: إن اللغة العربية تواجه اليوم، وربما تواجه غداً، تحدياً حقيقياً ضارياً، يفرض عليها التعامل معه بذكاء وفطنة، ذلك أن ظاهرة العولمة لا تعني سرعة تدفق السلع رؤوس الأموال والخدمات والبشر والأفكار بغير حدود ولا قيود فحسب، بل تعني إلى ذلك كله، سرعة تدفق اللغة الأقوى التي تمتلك مقومات القوة والهيمنة والسيطرة على اللغات الأخرى خصوصاً لغات الأمم التي تعاني من مخلفات عهود الاستعمار، وتواصل بذل الجهود للتحرر من قيودها، والتي تخضع لقيود شتى ناتجة عن عدم انتظام أوضاعها الاقتصادية والتعليمية في إطار سياسات وطنية قائمة على حسابات سليمة واختيارات قومية.

إن العلاقة بين اللغة العربية وبين العولمة، علاقة ذات صلة بمستقبل هذه اللغة. وليس من شك أن مستقبل اللغة العربية في عالم متغير تهيمن عليه آليات العولمة وضغوطها، يقترن بالتنمية الشاملة المتكاملة المتوازنة المستدامة؛ لأن اللغة من حيث هي، تحيا وتزدهر بحياة الأمة التي تنطق بها. وبازدهار العلوم والآداب والفنون والمعارف والصناعات والتقانات التي يبدعها أهلها في المجالات كافة، فيرتقون في مضمار التقدم المادي والمعنوي، ويتبوؤون المكانة اللائقة بهم بين الأمم فتكون لهم السيادة على لغتهم؛ لأن لهم السيادة على مقدراتهم ومكتسباتهم.¹ ومن هنا لا بد من التعايش مع عصر العولمة، ونتوقف عن الادلاء بالسلبيات التي لا مفر منها؛ فيجب أن نعيش عصرئذ-عصر العولمة ونواجه تلك الانتقادات أمام اللغة.

ومن المؤكد تثبيت العلاقة التواصلية بين اللغة والعولمة والتنمية البشرية، فبادئ ذي بدء تحيا اللغة بحياة الأفراد الذين يتواصلون بها في وسطهم الاجتماعي، ثم يتمظهر ذلك الارتباط الوثيق بين اللغة والأفراد الذين يتعايشون بها، وتنبعث فيهم جيلا بعد جيل، وتنمي فيهم التنمية البشرية، وما يتصل بها في تنمية شاملة ومستدامة متوازنة، ثم ما لها من علاقة كبيرة بعصر العولمة وما يعود به من سرعة التدفق اللغوي وسرعة النمو اللغوي والتطور اللغوي كذلك في عصر العولمة والتكنولوجيا وأثرها في التعدد اللغوي، وإن العلاقة بين اللغة والعولمة علاقة ثوحي بما تحمله من مستقبل لهذه اللغة. ويقول أيضا: " وإن اختلفت طرف التناول والعرض، فهي تدرس الوسائط التي تساعد في مواجهة التحديات الكبرى التي تفرضها العولمة على لغة الضاد، فتحاصرها وتضيق عليها الخناق، وتعزلها عن مجرى الحياة وتحكم عليها بالخضوع لضغوط لسانية ولغوية ذات مضامين ثقافية وفكرية، فتضعف اللغة، وتقتصر عن الوفاء بحاجات المجتمع، وتعجز عن مسايرة التقدم المذهل الذي يعرفه العالم اليوم في ميادين العلوم والتقانة والمعلومات، ومواكبة ما يشهده مجتمع المعرفة من تطور مدهش يحير العقول.

... هو التأكيد على التفاعل بين العلم والتقانة وبين العناصر اللغوية الثقافية والتعليمية والحضارية والاجتماعية الذي هو تفاعل قائم وملموس، وعلى ارتباط سياسة العلم والتقانة بالسياسة الثقافية واللغوية الذي هو بدوره ارتباط وثيق وملموس، وهذا ما ينفي الدور الحيادي للعلم والتقانة وعلاقته باللغة، ولذلك تتفاعل اللغة العربية والتقانة والتنمية والعناصر الثقافية للأمة العربية الإسلامية، وهذا التفاعل هو الشرط اللازم لتقوية اللغة العربية وإنعاشها وتجديدها وتطويرها، حتى تكون قادرة على التكيف مع المتغيرات وعلى مواجهة التحديات".²

ومن الضروري بمكان أن تتحد اللغة والعلم، وتصبح اللغة لغة العلم، وهذا مما لا ريب فيه، ولا بدّ للغة الكلام أن ترقى للعلم، فيقول أحمد أمين في كتابه «حياتي»: " لا أمل في إصلاح مصر ما دام هناك لغة للعلم ولغة الكلام، فإما أن ترقى لغة الكلام، وإما أن تنحط لغة العلم حتى تتحد، وحينئذ فقط يكون التفكير الصحيح، واللغة التي تستمد روحها من الحياة الواقعية".³

ويقول عبد العزيز بن عثمان التويجري معقبا عن كلام أحمد أمين: " وإن كانت لغة العلم تحتفظ دائما بمسافة بينها وبين لغة الحياة العامة، ولكن المعنى المقصود هنا، هو تيسير اللغة العربية وتطويرها بحيث تقترب من اللغة المتداولة في المجتمع، حتى تواكب اللغة تطور الحياة ومتغيرات العصر".⁴

فاللغة العربية هي لغة الفكر ولغة العلم، وهذا ما ثبت لها في زمن قريب جداً لغة حضارة تتلقفها العديد من اللغات وتأخذ منها الكثير الكثير من المصطلحات والمفردات، كما عرفت هي انتعاشا لغويا وازدهارا كبيرا بفضل ما انتقته من اللغات الأخرى الفارسية واليونانية والرومانية والهندية... الخ، هذا وإن دلّ فإنها يدل على أن اللغة العربية لغة العلم، ويجب علينا أن نرتقي للغة العلم، لأن تنحط لغة العلم إلى مستوانا هذا (لغة الكلام)، أو إلى مستوى الوضع الذي نعيشه من تدهور وتأخر في عصر العولمة.

ويرى المفكر المغربي علال الفاسي أن الأصل في اللغة أن تتغير وتتطور وتنمو، لكونها مؤسسة للتفاهم والتعبير عن عواطفهم وخلجات أفكارهم، فمتى نما الفكر واختلفت الحاجة وبرز الإبداع نمت اللغة واختلفت، ووجب العمل على تنميتها والإبداع فيها، ولا يمكن الجمود أو الانقطاع عن الاجتهاد؛ لأن من صفات العلم البحث عن المجهول، واستخراجه واكتناؤه الحقيقة، ومواكبة المستجدات، وليس مشكل اللغة ومواءمتها للحاجات وفقا على اللغة العربية، بل إنه مشكل جميع اللغات".⁵

إنّ كلام المفكر علال الفاسي أثار في نفسي سؤالاً وهو: إذ قال قائل: أنتم تدعون إلى الانحطاط واندثار اللغة العربية الفصحى، فكيف بهذه التغيرات أو التطورات أو النمو اللغوي؟ فأقول: شيوع هذه المصطلحات في الاستعمال لدى المجتمع يفضي بالنمو والتطور والتغير اللغوي والتعدد اللغوي. وهذا لتواكب اللغة تطور الحياة ومتغيرات العصر، وتستمد روحها من الحياة الواقعية، وهب أنك في هذا العصر يتواصل الناس بمصطلحات تواضعوا عليها، فهل يمكنك مخاطبتهم بمصطلحات غيرها؟ فاللغة تنمو وتتطور وتولد فيها مصطلحات جديدة لم تكن في معجمها، وتندثر مصطلحات أخرى كانت مستعملة في معجمها، وهذه إحدى مظاهر النمو اللغوي والتعدد اللغوي في ظل التنمية البشرية.

وتطوير اللغة العربية ضرورة من ضرورات تطوير الحياة العامة في العالم العربي الإسلامي؛ لأنّ التجديد إنّما يبدأ من اللغة، وبناء المستقبل يقوم على أساس تحديث اللغة

حتى تكون لغة المستقبل ؛ حيث ينتأ مستقبل اللغات بما تعرفه من تغير وإضافات لغوية في معجمها وصوتها وتركيبها وصرفها ودلالاتها فتنمو بنماء الأجيال التي تستعملها وبتغيرات العصر. وليس بخاف أن تنمية اللغة تكون بتفعيل نموها الطبيعي ، حتى تتغير وتتطور وتنمو. فإذا جمدت اللغة وانكمشت ، ضمرت وضعفت وفسدت ؛ لأنّ في جمودها فسادا لها. وفساد اللغة فساداً للمجتمع.

ومما لا شكّ فيه أنّ اللغات تتطور وتنحط ، وتتقدم وتتأخر بحسب درجة الناطقين بها من الرقي الحضاري ، والتقدم الاجتماعي ، ولذلك فهي ليست ظاهرة اجتماعية فحسب ، ولكنها مرآة مجلوة لتسجيل درجة الوعي الحضاري لدى متحدثيها. وليست اللغة من وجهة أخرى ، مجرد ظاهرة اجتماعية كما يتمثلها علماء الاجتماع ، وإنما هي أداة تعبيرية طيّعة حيّة تبلغ ذروتها حين يعتمد الناطقون بها إلى التماس الجمال الفني في تعبيرهم بها. وفي التآلق في انتقاء ألفاظها عبر نظامها الصوتي والتركيب ، مما يجعل من تعابيرهم لوحات فنية من التسوج الكلامية تروق سامعها ، وتبهر قارئها.⁶

وتعد الممارسات اللغوية الفردية والجماعية التي تدخل إلى عقول المتّقين كبيرهم وصغيرهم من موارد اللغة ومما ينميها ، وينمي المعاجم اللغوية باعتبارها الدخيرة اللغوية المخددة التي تكتسب فعالية وأثراً وقدرة على إيصال اللفظ والنطق السليمين إلى أبناء العربية وظف إلى كونها تساهم في تنمية اللغة باستعمالها الألفاظ العربية البديلة استعمالاً متكرراً لترسخ في الرصيد اللغوي للغة. وتساهم في التنمية البشرية للأجيال اللاحقة ، والتي تعمل على تنمية اللغة وتطورها. ويذكر في هذا السياق ممدوح خسارة في كتابه: «علم المصطلحات وطرائق وضع المصطلحات في العربية» على صمود اللغة العربية أمام الدخيل اللفظي ، وفي مواكبة متطلبات التفجير العلمي العالمي ، قوله: " تنمّيّة اللغة العربيّة وتطوُّيرها هي الآن أهمُّ مُشكّلةٍ لغويّةٍ ، ولا تنمّيّة للعربيّة ، ولا تطوُّير إلاّ بوضع المُفردات ؛ التي تضعها الحياة اليومية أو ما يسمى بـ (ألفاظ الحضارة) وإلاّ بوضع المصطلحات التي يفرّزها التفجير العلمي والتّقني المعاصر ، ولهذا الغرض ؛ من تطوُّير لغتنا وجعلها قادرة على استيعاب علوم العصر بمصطلحاتها نشأت المؤسسات العلميّة اللغويّة ، وكلّ التجمّعات اللغويّة التي مهدّت لظهور المجامع اللغويّة كان من أهمّ أهدافها وضع المصطلحات ، وعندما قامت المجامع اللغويّة كان على رأس مهامّها تطوُّير العربيّة ، وجعلها وافيةً بمتطلّبات العصر. وهذا الهدف كان ممّا تدعوا

إليه بالحاح الاتحادات والمنظمات العلمية والفنية، وكان الشغل الشاغل لرجال اللغة المعاصرين علماء وباحثين وكتاباً. وإنَّ أُنثى المعارك الثقافية في عصرنا الحاضر كانت بين القائمين بقدرة العربية على الوفاء بمتطلبات التطور العلمي، وبين زاعمي عجزها.⁷ تميز عصر العولمة بالانفجار العلمي والتكنولوجي والمعلوماتية التي ازدهرت فيها اللغات بفضل المؤسسات العلمية اللغوية بتنمية اللغات بالمصطلحات، وذلك ما ينتأ في دور المجامع اللغوية في وضع المعاجم اللغوية الحديثة والمعاصرة الوافية بمتطلبات العصر وحظيت اللغة العربية بهذه التنمية، وعمل الباحثون والدارسون على تطويرها، وهذا الهدف ما تدعو إليه التجمعات اللغوية والاتحادات والمنظمات العلمية والفنية للتنمية اللغة العربية، وفي مقابل التنمية البشرية التي تعمل على تنميتها.

والترجمة هي إحدى الوسائل التي اشتغل عليها الباحثون والدارسون في تنمية اللغة العربية، وللترجمة دور كبير وعظيم في إحياء والتجديد في المعاجم اللغوية، وفي تنمية اللغات، والتنمية البشرية، فيقول عمر هزايمة: "للتَّرجمة دور حيوي في نقل المعرفة الإنسانية. وهي في ذات الوقت أداة جد خطيرة؛ لأنَّ المترجم يجب أن يكون أميناً فلا يجوز أن تكون التَّرجمة وسيلة للكسب المادي حتَّى لا يترجم الغث والسمين من نتاج الأمم الأخرى بل لا بدَّ من التحرّي الدقيق لها ينفع الناس فينقل... وللتَّرجمة أهمية كبرى في تنمية اللغة ورفعها بالكثير من المصطلحات والألفاظ والتجارب الإنسانية، والأفكار الخلاقة التي تُعْمِلُ الفكر فتحفز الإنتاج وتعزّز التَّقدُّم."⁸

والهدف الحقيقي من التَّرجمة هو نقل المعرفة والعلوم، وتنمية اللغة ورفعها بالكثير من المصطلحات والألفاظ والتجارب الإنسانية، والأفكار الخلاقة التي تحفز الإنتاج وتدفع للتقدم، لا الكسب المادي الذي يحقِّقه المترجم من التَّرجمة، فالتَّقل لا يكون بالتَّرجمة الحرفية. والترجمة يجب ألا تكون ترجمة حرفية وإنَّما ترجمة تراعي المعنى، والمعنى المستلزم منها. والدَّور الرئيسي للتَّرجمة يكمن في تنمِية اللغة بالمصطلحات والألفاظ والأساليب والتجارب. ولا يترجم المترجم الغث والسمين؛ حيث لا يستفاد من هذه التَّرجمة بشيء.

ومما تقدَّم ذكره يمكن أن نخلص إلى القول: إنَّ للترجمة مكانة في تنمِية اللغة بالمصطلحات، ودور في التنمية البشرية، وإثراء المعجم اللغوي لأي لغة من اللغات، ومما ذكره الباحثون من حقيقة لغوية للغة العربية. وبما تتمتع به من الليونة اللغوية، والثناء اللغوي

الشاسع في تراثها العربيّ الذي تتمتع به بما حفظه لنا القدماء من اللغة سايرت به النظريات اللسانية الحديثة. ولترجمة دور عظيم في نقل العلوم، كما عرف عن العرب في زمن قريب ترجمة العديد من العلوم إلى اللغة العربية.

وتنهض النظرية المعجمية الحديثة بتأليف المعاجم اللغوية التي تترجم وتدعم التعدّد اللغويّ في المعجم العربيّ الحديث من مختلف اللغات الفرنسية، والانجليزية، والألمانية، ... الخ. وتستغل في ذلك الفعل التّرجميّ، وينتأ عمل النظرية المعجمية الحديثة في المجامع اللغوية التي تعمل على التّأليف المعجمي الثنائي والمتعدّد، ووضع المصطلحات وتعميمها، وتنمية اللغة العربية، والتنمية البشرية، وجعلها وافية بمتطلبات العصر؛ وتساهم في تنمية الأفراد والرفي بالمجتمعات عن طريق تحقيق المردودية والانتاجية والارتباط بالحياة العلمية والواقعية المفيدة، ومن ثمّ فكلّ الأفكار والحقائق التي لا تحقّق مصلحة أو منفعة للإنسان، ولا تفيد المرء في حياته اليومية والعلمية، فهي حقائق زائفة، وغير نافعة، ولا مجدية إطلاقاً. فاللغة كائن حي كالدماغ والقلب يؤدي معظم وظائفه بإرادتنا، هكذا اللغة نملكها بقدر ما تملكنا ونتكلمها، وتُتميّزها من التنمية البشرية. والتنمية البشرية من التنمية اللغوية لارتباطها بالحياة الواقعية التي نعيشها.

وينتأ الدور الثاني في التنمية اللغوية للتنمية البشرية في الحفاظ على الموروث الثقافي قصد الحفاظ على الذات، والحفاظ على تنمية المجتمع وحقوق الأجيال المتلاحقة؛ وذلك حفاظاً على الذاكرة الجماعية للأمة، وذلك من خلال إحياء إبداعات الحاضر ونفائس الماضي فيقول عبد الرزاق بوكبة " ويشعر جناحي الغواية على سماوات يلتقي فيها الموروث والمأمول والمدهش... " ⁹ فلا حاضر دون ماضي ولا مستقبل دون حاضر هذه هي أسس وركائز ومسلمات صورية للتنمية البشرية والتنمية اللغوية يلتقي فيها الموروث من الماضي الذي تركه الأجداد للأحفاد، مع المأمول من نتائج الحاضر، ويلتقي فيها الحاضر مع المستقبل المدهش ما انتجه مما لم يكن متوقعا في التنمية البشرية، والتنمية اللغوية.

وبعدّ موضوع التعدّد اللغويّ في البحث المعاصر من أهم المواضيع المطروحة حديثاً، ولو كان مدخلها قديماً قدّم التراث اللغويّ العربيّ القديم؛ فهو عبارة عن احدى المواضيع التي اشتغل عليها التراث العربيّ القديم، وما جعل هذا الموضوع معاصراً هي تلك الاصطدامات الفكرية والمعرفية العربية القديمة، والغربية المعاصرة، فالتراث العربيّ القديم، لا يعني تلك

الرواسب التاريخية للماضي السحيق، والتي فقدت وظيفتها من دون أن تكتسب وظيفة أخرى؛ لأن هذه النظرة الضيقة للتراث العربي تعمل على بتره من التاريخ، وتسلبه حقه في التعبير عن الحاضر، والتأثير فيه، والتأثر به، وحتى في بناء المستقبل بما يستجد مع مختلف الأجيال من التنمية اللغوية والتنمية البشرية، فيبدوا أن موضوع التعدد اللغوي والتنمية البشرية يتجسد في التراث العربي، وذلك ما ينتأ بشكل أكثر وضوحاً في الدرس اللغوي واللساني المعاصر.

فالتعدد اللغوي باعتباره موضوعاً اكتسب أهمية كبرى في الدرس اللساني المعاصر؛ حيث أصبح مظهراً من مظاهر اللسانيات المعاصرة التي تتقارب فيها اللغات، وأصبح الاستعمال اللغوي المعاصر لمختلف اللغات في البلد الواحد، مما ولد تنافساً قوياً بين اللغة الأم، واللغات الأخرى حرب اللغات وأصبحت البلدان تُصنف حسب ممارستها اللغوية للغات العالم، وهذا راجع لعوامل التطور العلمي والتكنولوجي في وسائط الاتصال والإعلام، وتكنولوجيا التواصل الاجتماعي، ووسائل المعلوماتية المعاصرة، ونشهد اليوم حرب اللغات؛ لأنه أصبح الناس يستعملون في ممارساتهم اللغوية لغتين أو أكثر، ناهيك عن اللغة الأم، واللغة العربية هي إحدى هذه اللغات مما تعيشه حرب اللغات في العالم لفرض الهيمنة اللغوية، فتقول الباحثة ذهبية بوريث في مقال لها بعنوان «اللغة العربية بين التعدد اللغوي والتفعيل المعرفي»: "يمد المخزون الحضاري للغة بالعمق والتجذر مما يبقها حية مقاومة، وإذا أتلّف هذا المخزون هدرًا دون أدنى وعي أصحابها، فسرعان ما تنخلع عن جذورها، لتتضغط في شعور أصحابها وتتضاءل؛ لأنها تعيش بنفَس راعيها وحارسها، ولو انشغل عنها، وأقصاها من مجاله التداولي فستنكمش وتضيق ويفقد معها تقاسيمه وملامح أبعاده؛ لأن مخزونها هو الذي يطبعها ويلونها ليحظى فيها بالمكان والزمان".¹⁰

وفي ظل حرب اللغات تعرف اللغة العربية صموداً لغوياً مكثفاً من المواجهة أمام لغات العالم وأمام ما تزخر به هذه اللغات من ثروة وثورة علمية تنفجر بها في العديد من أقطار العالم، والتي اضمحل فيها العديد من لغات العالم الأخرى؛ حيث لم تصمد أمام هذه الحروب اللغوية، وأما اللغة العربية وما تزخر به من مرجعيات تاريخية أصيلة راسخة جعلتها تواجه وتنافس بقوة وتصمد أمام تلك الحرب المعاصرة للغات.

ويقول تمام حسان في كتابه «مقالات في اللغة والأدب»: " تعيش اللغة العربية اليوم وضعا لغويا متعّدا؛ وهو ما يصطلح على تسميته بالتّعدّد اللّغويّ، ففيه يتناوب متكلمون في مجموعة لغوية ما على نظامين.¹¹

وتكتسب اللغة العربية مقوّمات الأصالة المتجذرة في جذورها الأصيلة والتاريخية، فاللغة العربية أثبتت صمودها على مدى التاريخ أمام اللّغات منذ القِدَم، وهذه إحدى الخاصيات التي تتمتع بها اللغة العربية دون اللّغات الأخرى، فلم تعرف لغة من لغات العالم حفاظا على مميزاتها الصوتية والصّرفيّة والتركيبية والدّلائية كاللغة العربية فهي منذ عهود قديمة جدا وأمام التنافس اللّغويّ في-العصر العباسي الذي تشربت فيه اللغة العربيّة من العديد من اللّغات-ازدهرت بذلك التنوع والتّعدّد اللّغويّ الذي عرفته قديما من الفارسية واليونانية والرومانية والهندية، ولعلّ هذا ما يظهر جليا في المصطلحات والمفردات التي ظهرت في القرآن الكريم من الفارسية واليونانية وغيرها من اللّغات الأخرى. فيقول علي عبد الواحد وافي في كتابه «علم اللغة»: في الفصل الثالث عنوانه صراع اللّغات " وقد نجم عن فتوح العرب في آسيا وأفريقيا أن تغلبت لغتهم على كثير من اللّغات السامية الأخرى وعلى اللّغات القبطية والبربرية والكوشيتية، فأصبحت اللغة العربيّة لغة الحديث والكتابة في معظم مناطق شبه الجزيرة العربيّة وفي مصر وشمال أفريقيا وفي جزء كبير من قسمها الشرقي المتاخم لبلاد الحبشة، مع أن الجالية العربيّة في هذه البلاد كان عددها أقل كثيرا من عدد السكان الأصليين.¹²

وهذا وإن تبيّن يبيّن ما لهذا الموضوع-التّعدّد اللّغويّ-من مدخل قديم في الحضارة العربيّة القديمة؛ وهو أحد المواضيع التي اشتغل عليها الثّراث العربيّ القديم، واليوم ومع الدّرس اللّسانيّ المعاصر كذلك تعرف اللغة العربيّة وأمام حرب اللّغات ازدهارا وعطاءا جديدا أمام لغات العصر وأمام تحديات العولمة وعصر المعلوماتية وتكنولوجيا المعرفة، وبفعل التّرجمة من اللّغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية ولغات العالم الأكثر تنافسا على المكانة العالمية الأولى، والتي أصبح موضوع التّعدّد اللّغويّ يشغل فيها الشغل الشاغل ومما أرق الباحثين، وأحيا همم الغيورين على اللّغات بخوفهم على ضياع لغاتهم، فتقول الباحثة ذهبية بوريس: " وفي ظلّ هذا التّعدّد اللّغويّ لا يملك أبناء اللغة العربيّة اليوم

العدّة الكافية في فرض مركزية لغتهم، لهيمنة الممارسات اللغوية الأخرى على كثير من القطاعات الحيوية الاجتماعية والمعرفية التي تتحكم فيها الوسائل التقنية والالكترونية. وحتى تضمن اللغة العربية اقدراها واستمرارها فلا بد أن يتوفر لها وضع متزن يبنّي على المصلحة القومية المحافظة على الثوابت الحضارية دون إقصاء تعسفي للتعدّد اللغوي الآخر في صورته الإيجابية.

فلمات متباينة يتحكم فيها اختلاف الأمصار وتعدّد الأعراق، وهذا الاختلاف ليس مقصوراً على جغرافية المكان فهناك عوامل تاريخية واجتماعية وثقافية ومادية تكسب اللغة ذاتيتها، وتطبع تفردا وهذا التفرد يكتسب إيجابيته وعطاءه إذا حقق أشياءه وأغراضه المنوطة به، وبالإسانية جمعاء.

لذلك ينظر إلى التعدّد اللغوي على أنّه ظاهرة مؤثرة في تفرد اللغة وذاتيتها، ولعلّ هذا التعدّد ناتج عن ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية مقصودة أحيانا وفي أحيان أخرى غير مقصودة، فاللغة العربية تراجعا في أثناء أداء دورها التواصلي والحضاري لغات أقوام أخرى، مما يجعل التحكم في دورها أمرا صعبا لا بد أن تتخذ له وسائل منهجية ومخططات تربوية، وأوضاع سياسية ترسي وظائفها دون عزلها عن لغات الأمم الأخرى، ومعارفها، حوارا وتواصلا وتعارفا.¹³

وتقول أيضا: "والأمر الذي لا يمكن تجاهله اليوم هو أنّ اللغة العربية مهيئة لهذا الأمر الخطير فقد يقع عليها ما وقع على غيرها من اللغات المنكمشة على ذاتها إذا لم يفرّج أصحابها إلى تكريس كلّ الجهود في تفعيل العملية المعرفية عن طريقها؛ لأنّ التواصل في جميع الأحوال يكون مرهونا بتلبية الحاجات الآنية اليومية المحددة بزمن ضيق".¹⁴ فإذا كانت هذه الحاجات غير مستشرفة لتحسين وضع طالبها؛ فإنّ وسيلتها (اللغوية) لا يضمن لها الاستمرار، ولذلك لا بد أن تحتفظ اللغة العربية بمزايا تفعيلها حتى لا تتوقف وظيفتها عند حد التواصل الوقتي المحدّد، وحتى يصير هذا التواصل منتجا لا بد أن تُستجَمع له الأغراض الرمزية والروحية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية التي تدفعه دوما إلى الاستمرار.¹⁵ ويتبين من هذا النصّ ما للغة العربية من تفاعل لغوي مع اللغات الأخرى، وهذا ما ثبت لها من القديم، وبفضل التعدّد اللغوي الذي عرفته قديما مع لغات أخرى في تراثها، ومما جعلها اليوم مهيئة لمواجهة حرب اللغات اليوم وللتعدّد اللغوي وجعلها مهيئة لهذا الأمر الخطير، بفضل تلك التجربة التي

عايشتها قديماً، ومما جعلها تُسهم في تفعيل العملية المعرفية، حتّى لا تكون اللّغة العربيّة حكرًا على لغات تنضوي تحت مركزية اقتصادية أو سياسية كما وقع لكثير من اللّغات الّتي استسلمت لمظاهر العولمة، لتصبح مهجورة من أبنائها.

ويقول البشير الإبراهيمي عن لغة الضاد: "... لغة العرب، قطعة من وجود العرب، وميزة من مميزات العرب، ومراً لعصورهم الطافحة بالمجد والعلم والبطولة والسيادة، فإذا حافظ الزّنجي على رطانته، ولم يغ بها بديلاً وحافظ الصيني على زمّته، فلم يرض عنها تحويلاً، فالعربيّ أولى بذلك وأحق؛ لغته كانت-في وقت ما- لسان معارف البشر، وكانت-في زمن ما- ترجمان حضارته، وكانت-في وقت ما- ناقلة فلسفات الشرق وفنونه إلى الغرب، وكانت-في وقت ما- هادية العقل الغربي الضال إلى موارد الحكمة في الشرق وكانت-في جميع الأوقات- مستودع آداب الشرق وملقّي تياراته الفكرية، وما زالت صالحة لذلك، لولا غبار من الإهمال علاها، وعاقٌّ من الأبناء قلاها، وضيم من لغات الأقوياء المفروضة دخل عليها، وهي قبل وبعد كلّ شيء- حاضنة الإسلام، ودليله إلى العقول، ورائده إلى الأفكار".¹⁶

ولعلّ من نافذة القول ما يجب الاعتراف به من سلبات التّعدّد اللّغويّ في مقابل الإيجابيات الّتي يحققها من مزايا التواصل الإيجابية بمختلف اللّغات، ما يمكن تقديمه سلباً لهذه الإيجابيات على بعض المجتمعات الّتي سرعان ما تنصهر وتذوب في اللّغات الأخرى، وهذا ما يشكل أكبر خطر على اللّغة الأمّ الّتي ينطق بها أفراد المجتمع، كما قال البشير الإبراهيمي: «لولا غبار من الإهمال علاها، وعاقٌّ من الأبناء قلاها، وضيم من لغات الأقوياء المفروضة دخل عليها، وهي قبل وبعد كلّ شيء- حاضنة الإسلام، ودليله إلى العقول، ورائده إلى الأفكار، والشّيء نفسه يقوله لويس جان كالفي في كتابه «حرب اللّغات والسياسات اللّغويّة» في مبحث عنوانه: بـ «السوق وإدارة التّعدّد اللّغويّ» عن اللّغات الّتي هجرها أبنائها: نستطيع أن نكثر الأمثلة بتقديم استقصاءات أخرى في باماكو (مالي)، أو في زيغيشور (السينغال)، ولكنها قد لا تقدم عناصر جديدة؛ ففي كانتون وبرازفيل، ونيامي، رغم تباعدها نقاطاً مشتركة مهمّة، منها أولاً أنّ التّعدّد اللّغويّ يؤدّ مشكلة في التواصل وفي كل مرة تتعايش فيها لغتان أو أكثر من لغتين في جماعة بشرية يتوجب على أفراد الجماعة أن يبحثوا عن سبيل لإدارة الخلاف اللّغويّ في علاقاتهم. وتشكل السوق نقطة لقاء أخرى في جميع الاستقصاءات الّتي قمنا بها، إذ يقدم لنا النشاط الاقتصادي صورة جيدة عن الحلول الّتي تعتمدها الممارسة

الاجتماعية لانتشار اللغة في أوضاع التعدّد. ¹⁷ وإذا تأملنا هذا النص يتبين ما قدّمه صاحبه من الدراسة من عيوب التعدّد اللغويّ في التواصل بين الأفراد في البلد الواحد، وما أدراك في تواصل الأفراد في البلدان المختلفة فالبلدان التي ذكرها في كلّ مرة تتعايش فيها لغتان أو أكثر في جماعة بشرية واحدة، وتغيب فيها اللغة الأمّ، وبهذا تضمحل فيه اللغات؛ لأنّ وجود اللغة بوجود الأفراد والجماعات الناطقة بها، فيجب المحافظة على اللغة الأصل في ضلّ التعدّد اللغويّ الذي لا ضرر فيه، فلا يكون التعدّد اللغويّ إدارة الخلاف اللغويّ في علاقاتهم الاجتماعية او التواصلية، وفي مقابل هذه الانتقادات للتعدّد اللغويّ إلّا في مضمون النصّ هذا-وكما ذكرنا سالفًا- ما يحققه التعدّد اللغويّ في النشاط الاقتصادي اللغويّ الذي تعتمده الممارسة الاجتماعية لانتشار اللغة في أوضاع التعدّد اللغويّ.

وبواجه المجتمعات الراقية هذه المزالق أو المشكلات أو هذه العوائق اللغوية للتواصل في التعدّد اللغويّ وفي التنمية البشرية "في مواجهة العوائق اللغوية للتواصل ترينا السوق كيف يتواصل الناس في ما بينهم رغم كلّ شيء. يبقى سؤال آخر: لمّ يستخدمون هذه اللغة دون تلك في إدارة تعدّدهم اللغويّ؟ فتقاسم النفوذ في برازيل المقسمة إلى «منطقتين لغويتين»، والهيمنة المطلقة للامبارا في باماكو، والثنائية اللغوية في نيامي أو في كانتون دلائل على موازين القوى بين الجماعات البشرية التي تتكلم هذه اللغات. في السوق (وفي غير السوق في ميادين الحياة الاجتماعي، وإنّما ذكرنا السوق مثالاً مناسباً) إدارة للتعدّد اللغويّ؛ ولكنّ فيه أيضاً حرباً بين اللغات تشهد عليها هذه الإدارة. ¹⁸ ولكن بعض الأفراد حاولوا وضع لغات أخرى توخوا فيها البساطة، ويطلق عليها اللغات المصطنعة Artificiel Langages أو اللغات المساعدة auxilixry Langages مثل الاسبرانتو.

ولكن هذه اللغات المصطنعة ليست سهلة لجميع أبناء اللغات بنفس الدرجة، الاسبرانتو مثلاً أكثر عناصرها تشابه مع الإيطالية والإسبانية وباقي هذه العناصر فورية ولذا فاكْتساب الأوربيين عموماً للاسبرانتو أسهل من اكتساب غيرهم لها. ¹⁹ ويظهر التعدّد اللغويّ في الممارسات اللغوية للغات الأقوى والأكثر انتشاراً؛ حيث تفرض هذه اللغات هيمنة وجودها في أماكن مختلفة، وحتى في الأماكن التي لم تكن أصلاً فيها، ولم ينطق بها كلغة أم أو لسان هذا المجتمع، ويصف لويس جان كالفي هذا الواقع للغات كالعملات النقدية التي يفضلها الناس على حساب العملة المحلية فيقول: "يعرف المسافرون أنّ هناك عملات في العالم مرغوبة أكثر من غيرها؛ فالتجار يفضلون غالباً أن تدفع لهم بالدولار، أو بالفرنك أو بالمارك على أن تدفع

لهم بالعملة المحلية. والأمر على هذا في اللغات؛ إذ يحذ المتخاطبون أو يرفضون هذه اللغة أو تلك. سواء أكانت لغة حاصرة أو لغة ناشرة، لأسباب تتعلق بالخطوة أو بالحد. فهناك ما يشبه «بورصة اللغات» غير أنّ سوق اللغات يبيّن لنا شيئاً آخر.²⁰ يتبين ما للتعدّد اللغوي من إيجابيات في إغناء اللغة وإثرائها وتنميتها بالمصطلحات والمفردات بالترجمة وتبادل المعرفي والعلمي والثقافي والاجتماعي والفكري وغيرها مما ينمي اللغات أثناء الممارسات اللسانية المختلفة باختلاف الألسن.

فالتعدّد اللغوي يؤثر على اللغات الرسمية التي ينطق بها أبناء البلد الواحد، فكثيراً من الدول تضمحل لغاتها بسبب تخلي أبنائها على لغتهم والانغماس في اللغات الأخرى، وهذا ما يعود بالتنمية البشرية بالسلب على حقوق الأجيال اللاحقة التي يمكن أن لا تميز بين اللغة الأم واللغات الأخرى من غيرها، وأما الدول التي تحسن التكيف مع هذا التعدّد اللغوي باعتباره مظهراً من مظاهر التقدم العلمي والتكنولوجي تحتفظ على مقومات الهوية اللغوية لبلادها، ولا يغفل أبنائها عن لغتهم رغم تمكنهم من اللغات الأخرى بأحسن وجه لأنهم يعلمون علماً أنّ التعدّد اللغوي شيئاً إيجابياً، وفي المقابل خطراً كبيراً عليهم وعلى لغتهم، "فالتعدّد اللغوي قضية مركزية ظهرت نتيجة حتمية لتداخل اللغات واللهجات وتنوع الأنظمة اللغوية وأنساقها داخل المنطقة الواحدة، هذا التعدّد الذي قد يكون له فضل في إغناء اللغة ومساعدة المتعلّم في تعلّمه، كما يفرض على معلم اللغة أن يكون على دراية ومعرفة ضمنية بهذا التعدّد، لكي ينجح في أدائه مهمته على أحسن وجه، كما يمكن أن يؤدي التعدّد للبس صرفي ودلالي نتيجة تداخل الأنظمة اللغوية فيما بينها."²¹ ومما يعود بالسلب على التنمية اللغوية والتنمية البشرية من التعدّد في سوء التحكم في ذلك التداخل اللغوي بين اللغات أي التداخل في المستويات اللغوية للغات، فكلّ لغة من اللغات لها تنماز بخصائصها اللغوية أو قواعدها اللغوية بدء من المستوى الصوتي (المعجمي)، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي (النحوي) والمستوى الدلالي، وهذا الأخير الذي يأخذ مكانة كبيرة في اللغات وأكبر؛ حيث لا يتم التواصل ما لم يتم الفصل بين المعاني الدلالية للغات، أو حصر المعنى المقصود في سياقه الخاص، وكذلك البناء الصرفي للغة. فيقول محمود فهمي حجازي: "يهتم علم اللغة الاجتماعي بقضايا العلاقة بين اللغة والمجتمع، وما أكثر القضايا التي تدخل في هذا الإطار: الازدواج اللغوي، مستويات الاستخدام، تعدّد اللغات في المجتمع الواحد وغير ذلك. وهناك مجال كبير للبحوث اللغوية

الاجتماعية في دول العالم الثالث؛ حيث تعدّد اللغات في داخل الدولة الواحدة، مما يفرض على الباحثين الاهتمام بالمشكلات اللغوية الاجتماعية في محاولة لفهمها ولإيجاد الحلول المناسبة لها في إطار الجهود الهادفة إلى إقامة الدولة الحديثة.²² ويحيل التّعّدّد اللّغوي داخل البلد الواحد بالمشكلات اللّغوية في التواصل والتفاعل في بينهم، ويتمظهر أيضا في كونه مظهرا من مظاهر الجهود الهادفة إلى إقامة الدولة الحديثة.

ومما يحيله التّعّدّد اللّغوي في عدم التكيّف بين اللغة الأم واللغات الأخرى في اندثار وموت اللغات أو اللغة الميته الطبيعية أو لغات المنشأ، ويعود ذلك للاستعمال اللّغوي للغات الأجنبية على حساب اللغة المحلية و " لا يستغرب أحد فكرة «موت اللغات»؛ ففي المعجم العام ذكر ل «اللغة الميته» التي يعرفها القاموس الفني كالآتي: لغة لم يعد الناس يتحدثون بها، ولكن موقعها في جماعة اجتماعية ثقافية قد يسمح أحيانا بأن يكون لها دور في التعليم، وفي الطقوس والاحتفالات، وغير ذلك. مثالها اللاتينية.²³ فاللغة الميته هي اللغة التي لم يعد الناس يتكلمونها، وهي اللغة القديمة التي لم يبق لها وجود إلا في القاموس أو المعجم القديم، فهي لغة مكتوبة لا منطوقة، لغة ساكنة لا لغة مستعملة؛ فهي اللغات التي لم تعد مستعملة لدى مجموعة الأفراد الناطقة بها، وهذا خطر التّعّدّد اللّغوي على اللغات، " ويعطي قاموس ليتري (Littre) منها مثالين هما اللاتينية والعبرية بعد أن عرّف اللغات الميته بأنّها: اللغات التي لم تعد موجودة إلا في الكتب وفي وقت قريب منا يقول قاموس روبير: «اللغات الميته: التي لم يعد الناس يتحدثون بها. دون أن يقدم أمثلة عليها، ولكنه في المقابل يذكر الإغريقية واللاتينية في مدخل اللغات الكلاسيكية.

... فالأمثلة الوحيدة للغات الميته التي نجدّها في القواميس تعتبر في الوقت نفسه، لغات كلاسيكية والتعريف الذي يقدمه قاموس ليتري «اللغات التي لم تعد موجودة إلا في الكتب» هو الأكثر تمثيلا لهذه النظرة؛ لأنّه يذكر أمرين في وقت واحد: اللغة الميته: لغة مكتوبة؛ أي إنّها مكتوبة في زمانها، وربما لا تزال مكتوبة في زماننا، واللغة الميته لغة ما عاد يتحدّث بها؛ أي بعبارة أخرى، إن بين العدد الكبير للغات التي كان الناس يتحدثون بها عبر التاريخ، وما عادوا يتحدّثون بها، لغات ميته، ولغات مندثرة ليست في المرتبة نفسها: فاللاتينية، أو الإغريقية، أو العربية (الفصحى) الكلاسيكية، أو السنسكريتية لغات أكثر حظوة من اللغات التي كان أجدادنا على سبيل المثال، يتحدثون بها أيام استعمار الرومان لهم، والتي

لم تترك أدبا والتي لم ترتبط بدين... الخ²⁴ يتبين الأثر الكبير لاستعمال اللغوي أو الممارسة اللغوية، ومن حيث يتحدث بها الناس في تواصلهم وتفاعلهم الاجتماعي، واللغة إن كانت مكتوبة فلا وزن لها إلا بالاستعمال اللغوي كاللغات القديمة والفصيحة التي اضمحلت بغياب أصحابها الذين ينطقون بها، والتي ألفوا بها أضخم مؤلفاتهم العلمية واللغوية، وتركوا بها أدبا سجلها التاريخ، فاضمحلت واندثرت بغياب أصحابها، وهذه اللغات هي ميتة؛ لأنها لم تحط بما تحاط به اللغة العربية، وبما ترتبط به بالدين وبالكتاب المقدس القرآن الكريم الذي منحها الحفظ العظيم للغة قديما وحديثا، وميز موضوعها وخاصة في التعدد اللغوي الذي شهدته اللغة العربية وأبناءها في الفتوحات الإسلامية.

وتعرف الجزائر وكغيرها من دول العالم ارتفاعا متزايدا في التنمية البشرية؛ حيث تعرف نموا إنسانيا عالي بفضل الثروات الطبيعية، وما تزرع به كغيرها من الدول بالقدرات والمؤهلات الطبيعية التي تحسن استغلالها، وتسخرها في خدمة التنمية البشرية لتنمية مهارات الإنسان، ومؤهلاته الاجتماعية، ومكتسباته العقلية والفكرية، ولعل أكبر مظهرا من هذه المظاهر ما ينتأ بجلاء تلك اللغات الطبيعية التي تكييفها في خدمة التنمية البشرية-اللغتين الرسميتين-اللغة العربية واللغة الأمازيغية؛ باعتبارهما لغتان ينطق بهما أبناء هذا الوطن، ورغم ما يتمظهر من تعدد لغوي في الجزائر من اللغة الفرنسية التي كانت أسبابها الاستعمار ومكوته في هذا الوطن زمنا طويلا حتى زرعت هذه اللغة في كثير من أبناء الجزائر ثم توارثته الأجيال اللاحقة حتى في هذا الوقت، وفي مقابل هذه اللغات فهناك من أبناء الجزائر من يتحدثون باللغة الإنجليزية باعتبارها لغة العالم ولغة العلم ولغة التكنولوجيا. ولغة الثروة الاقتصادية، والجزائر وكغيرها من الدول المتقدمة تكييف هذا التعدد اللغوي مع التنمية البشرية وتحكم فيها بمختلف المؤهلات لدى كل الأفراد.

ومستقبل اللغات يعود لأبنائها الذين ينطقون بها، ويقرن بالتنمية الشاملة المتكاملة المتوازنة المستدامة؛ لأن اللغة من حيث هي تحيا وتردهر بحياة الأمة التي تنطق بها. وبازدهار العلوم والآداب والفنون والمعارف والصناعات والتقانات التي يبدعها أهلها في المجالات كافة، فيرتقون في مضمار التقدم المادي والمعنوي، ويتبوؤون المكانة اللائقة بهم بين الأمم فتكون لهم السيادة على لغتهم؛ لأن لهم السيادة على مقدراتهم ومكتسباتهم. وتعرف بعض الدول في العالم تعدد اللغات الرسمية في كثير من قارات العالم وينتأ هذا بشكل أكثر بيانا في قارة

أفريقيا، وفي بعض دولها؛ التي خضعت لعهود كبيرة للاستعمار الأوربي-الذي نشر اللغتين الفرنسية والانجليزية-وأصبح التعدد اللغوي في هذه الدول صفة رسمية لكل اللغات على حساب اللغة الرسمية في كل دولة، وعلى حساب اللغة الرسمية المستخدمة في المجالات الرسمية للدولة، " وهناك جماعات لغوية تستخدم أكثر من لغة تختص كل واحدة منها بمجالات محددة وفي كل هذه الحالات هناك مصطلحات لوصف مستويات الاستخدام اللغوي المختلفة، اللغة الرسمية Official Language هي اللغة المستخدمة في المجالات الرسمية في الدولة، وتنص الدساتير-غالبا-على تحديد اللغة الرسمية في كل دولة، قد تكون اللغة الرسمية هي اللغة الوطنية National Language كما هي الحال في كثير من دول العالم، وقد تكون امتداداً للغة الرسمية في عهد الاستعمار وهذه حال كثير من الدول الجديدة في أفريقيا وآسيا، فاللغة الرسمية في موريتانيا هي اللغة الفرنسية وليست اللغة الفرنسية لغة أبناء موريتانيا فهم عرب وبربر، وما تزال اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في عدد من الدول، وهناك دول اعترفت لظروف تاريخية بتعدد اللغات الرسمية، فالفرنسية والفلمنكية لغتان رسميتان في بلجيكا، والانجليزية والأفريكانز Afrikaans لغتان رسميتان في اتحاد جنوب أفريقيا والانجليزية والفرنسية لغتان في كندا، والألمانية والفرنسية والإيطالية هي لغات الرسمية في سويسرا.²⁵

ويعتبر التعدد اللغوي من أخطر القضايا اللغوية على اللغة الرسمية في الدولة؛ حيث يكون التعدد اللغوي مجال التعامل مقابل اللغة الرسمية مما يخلق فوضى التواصل الاجتماعي بين الأفراد، وكيف يتم تدريس العلوم والهندسة؟ وكيف يتم التعدد اللغوي في الدولة الواحدة والمجتمع الواحد يجتمع فيها في الدين وفي الثقافة والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية والتاريخية، وتوصف اللغة التي تستخدم في المجالات التعليمية والثقافية والتقنية بأنها لغة التعليم Educationnel Language، أو لغة الثقافة Cultural Language أو اللغة التقنية Technical Language، وكثيرا ما تكون اللغة الرسمية لغة التعامل في هذه المجالات، ولكن عددا كبيرا من الجماعات اللغوية في العالم المعاصر تتعامل في المجالات التقنية بلغة تختلف عن اللغة الرسمية التي نص عليها الدستور.

فدريس العلوم والهندسة والطب يتم في أكثر جامعات الدول العربية باللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية مع أن دساتير هذه الدول تنص على كون اللغة الرسمية هي اللغة العربية.²⁶

وقد جاء بحثي هذا، حول المؤتمر الدولي «التعدّد اللغوي والتنمية البشرية» الذي يسهر على تنظيمه مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر بجامعة مولود معمري، تيزي-وژو، وقد تمحور هذا البحث حول قضية أساسية من القضايا التي يطرحها هذا المؤتمر، وجاءت مداخلتي تدعم وتؤيد وتمحور حول المحور الثالث من المؤتمر؛ وهو تشييع التعدّد اللغوي والتنوع اللغوي في عصر التكنولوجيا والمعلومات، يُسهم في توفير الموارد البشرية ومواكبة الحضارة بأسرع وقت، وأقصر الطرق، وللانصهار في بوتقة المدينة المتقدّمة. وقد جاءت هذه المداخلة لتؤكد أنّ الجزائر وكغيرها من الدول المتقدّمة التي تحظى بالتعدّد اللغوي، تتكيف مع هذه الظاهرة وبامتياز وتكافؤ المهارات اللغوية التواصليّة والتفاعليّة مع اللّغات والحضارات والتطوّرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة وفي كلّ المجالات الحيّاتية. ومما يشجع على الإبداع والاعطاء.

الخاتمة: - يعتبر موضوع التعدّد اللغوي والتنمية البشرية من أخطر المواضيع المعاصرة والتي لها مرجعيات تاريخية قديمة؛ لأنّ مثل هذا الموضوع مما يشكل خطرا على وجود الأفراد، ووجود الأفراد والجماعات ممّا يشكل خطرا على وجود اللغة أو اللّغات؛ من حيث هي تحيا وتزدهر بحياة الأمة التي تنطق بها، فإن لم نُولي الاهتمام ودقيق الاهتمام بالتحكم والتكيف والتعايش المتوازن والشامل والمستديم لهذا التعدّد اللغوي تضمحل الشخصية اللغوية والهوية الوطنية، وتضيع اللغة الأم والموروث الاجتماعي الثقافي والتاريخي والاقتصادي للشعوب، ولقد ذكرنا في ما سبق الحديث عن اللّغات الميتة؛ وهي التي لم تعد يتحدث بها أصحابها برغم من كونها لغة فصيحة ولغة علم وأدب، ولكن اندثرت واضمحلّت بغياب أصحابها.

ولعلّ أصدق حديث في الموضوع التجربة اللغوية للغة العربيّة في زمان كانت هي الأولى في العالم وقد نطق أهلها وأبنائها بالعديد من اللّغات وترجم أهلها وأبنائها العديد من العلوم والفلسفات والثقافات وعلى سبيل المثال لا الحصر الفارسية، والهندية، والرومانية اللاتينية... الخ وتأثرت بهذه اللّغات ونطق بها لسان أبنائها وورد في الكتاب العظيم القرآن الكريم منها المفردات واللّغات الكثير، فدون أن يقال عن اللغة العربيّة لغة ميتة، واليوم هي كما بالأمس أبنائها في الجزائر وفي بعض الدول العربيّة ينطقون بها وباللّغات الأخرى بدء من

الأمازيغية أخت العربية وشقيقتها الصغرى، واللغة الفرنسية، والانجليزية، والألمانية، وبعض منهم بالروسية، والآخر بالإيطالية والاسبانية واليابانية... الخ

- التّعدّد اللّغويّ سلاح ذو حدين الوجه الأول: يتمثل في ما يحققه من تفاعل لغويّ وتنميّة لغويّة وبشرية، ويحقق المهارات اللّغويّة التّواصلية والتّفاعليّة مع التّقانات والحضارات والتّطوّرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة في كلّ المجالات الحيّاتية. ومما يشجع على الإبداع والعطاء. ويحقق التّعدّد اللّغويّ النشاط الاقتصادي اللّغويّ الذي تعتمد الممارسة الاجتماعيّة لانتشار اللّغة في أوضاع تفاعلية تواصلية مختلفة، وتحقق الترجمة كإحدى الوسائل العملية اللّسانيّة إغناء اللّغة وإثرائها وتنميتها بالمصطلحات والمفردات، والتبادل المعرفي والعلمي والثقافي والاجتماعي والفكري وغيرها ممّا ينمي اللّغات أثناء الممارسات اللّسانيّة المختلفة باختلاف الأسن. ويوحي التّعدّد اللّغويّ بنشر التّعليم، والمعرفة الدقيقة للعلوم واللّغات الأخرى، وعلى أن يكون أبناء البلد على دراية ومعرفة ضمنية بهذا التّعدّد اللّغويّ. فالّتعدّد اللّغويّ قضية مركزية ظهرت نتيجة حتمية لتداخل اللّغات واللّهجات وتنوع الأنظمة اللّغويّة وأنساقها داخل المنطقة الواحدة هذا التّعدّد الذي قد يكون له فضل في إغناء اللّغة ومساعدة المتعلّم في تعلّمه.

وأما الوجه الثاني: يتمثل في خطره على اللّغة الأمّ للشعوب فكثيرا من البلدان طمست لغاتها الأمّ ويمثل خطرا كبيرا على هذه البلدان في سوء التّكيف والتّحكم في التّعدّد اللّغويّ، وخطرا كبيرا على إدارة الخلاف اللّغويّ في علاقاتهم الاجتماعيّة والتّواصلية، وتصبح هذه اللّغات تعرف باللّغات الميته، ومما يعود بالسلب على التنمية اللّغويّة والتنمية البشرية من التّعدّد في سوء التّحكم والتّكيف اللّغويّ بين اللّغات واللّغة الأمّ ذلك التداخل اللّغويّ بين اللّغات أي التداخل في المستويات اللّغويّة للغات، ويؤدي التّعدّد لبس الصّرفيّ والدلاليّ نتيجة تداخل الأنظمة اللّغويّة فيما بينها للغات. وينتأ خطر التّعدّد اللّغويّ في موت اللّغات؛ فالّلغة الميته هي اللّغة التي لم يعد الناس يتكلمونها، وهي اللّغة القديمة التي لم يبق لها وجود إلّا في القاموس أو المعجم القديم، فهي لغة مكتوبة لا منطوقة، لغة ساكنة لا لغة مستعملة؛ فهي اللّغات التي لم تعد مستعملة لدى مجموعة الأفراد الناطقة بها، وهذا خطر التّعدّد اللّغويّ على اللّغات.

المقترحات:

- ضرورة الحفاظ على اللغة الأم، ومراعاة حقوق الأجيال القادمة؛

- التكيف اللغوي بين اللغات في التعدد اللغوي، وتجنب التداخل اللغوي بين اللغة

الأم واللغات الأخرى داخل البلد الواحد؛ أي التداخل في المستويات اللغوية للغات، والقواعد الأساسية للغات؛

- التعدد اللغوي موروث ثقافي وحضاري للبلدان، فالجزائر وكغيرها من البلدان تنوع

فيها اللغات التي تعبر على التاريخ العريق للبلد فيها كاللغة العربية والأمازيغية، واللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية؛

- التحكم في الجانب الإيجابي للتعدد اللغوي في التنمية البشرية، واعتباره معلم من

معالم الحضارة والموروث الاجتماعي والثقافي والتاريخي، والعمل على تشجيع التنوع اللغوي في عصر التكنولوجيا والمعلومات، يسهم في توفير الموارد البشرية ومواكبة الحضارة بأسرع وقت وأقصر الطرق وللانصهار في بوتقة المدينة المتقدمة؛

- تفعيل المؤسسات العلمية اللغوية، وكلّ التجمّعات اللغوية التي مهدت لظهور

المجامع اللغوية والتي كان من أهم أهدافها تنمية اللغة، والتعدد اللغوي، وتفعيل دور المجامع اللغوية في وضع المعاجم وتفعيلها أيضا في إرساء مهامها في تطوير اللغة العربية والتعددية اللغوية، وجعلها واقيةً بمتطلبات العصر.

- تفعيل دور مراكز ومعاهد الترجمة والتعريب في إثراء المعاجم، وخلق جسور من

التواصل والتعاون اللغوي، وهذا الهدف كان مما تدعوا إليه بإلحاح الاتحادات والمنظمات العلمية والفنية، وكان الشغل الشاغل لرجال اللغة المعاصرين علماء وباحثين وكتاباً؛

الهوامش:

¹ - عبد العزيز بن عثمان التويجري، اللغة العربية والعولمة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو 1429هـ-2008م، ص 7-8.

² - المرجع نفسه، عبد العزيز بن عثمان التويجري، اللغة العربية والعولمة، ص 9.

³ - أحمد أمين، حياتي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1972م، ص 81.

⁴ - المرجع السابق، عبد العزيز بن عثمان التويجري، اللغة العربية والعولمة، ص 16.

⁵ - عبد القادر الفاسي الفهري، التربية والتعليم عند علال الفاسي ضمن كتاب في رحاب فكر علال الفاسي، مؤسسة علال الفاسي، الرباط، 2000م، ص 13.

- ⁶ - عبد المالك مرتاض، التعددية اللغوية فح جديد لتمزيق الهوية الوطنية، مجلة العربي، العدد 500، الكويت، 2000م ص 27.
- ⁷ - خسارة، مهودح (2008م). علم المصطلحات وطرائق وضع المصطلحات في العربية. دمشق: منشورات دار الفكر ص 13-14.
- ⁸ - هزايمة، عمر (1429هـ-2008م). وسائط تعزيز التعريب والتخطيط اللغوي العربي. مجلة اللغة العربية هويتها القومية دمشق. العدد الرابع والثلاثون. المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر. السنة الثامنة عشرة، ص 66.
- ⁹ - عبد الرزاق بوكبة، من دس خُفّ سيوبه في الزمل، نصوص المكتبة الوطنية الجزائرية البرزخ.
- ¹⁰ - ذهيبه بوريس، اللغة العربية بين التعدد اللغوي والتفعيل المعرفي، جامعة الأمير عبد القادر، على الموقع: www.univ-emir.dz/download/madjala.../15bourois%20dahabia.pdf، تاريخ الزيارة: 2017/07/26م على الساعة: 10:00. ص 1.
- ¹¹ - تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2006م، ج 2، ص 32.
- ¹² - علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط 9، 2004م، القاهرة، ص 232.
- ¹³ - ذهيبه بوريس، اللغة العربية بين التعدد اللغوي والتفعيل المعرفي، جامعة الأمير عبد القادر، ص 2.
- ¹⁴ - المرجع نفسه، ص 2.
- ¹⁵ - محمد الأوراعي، التعدد اللغوي، انعكاساته على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط سلسلة بحوث ودراسات، رقم 36. المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، ط 1، 2002م، ص 130.
- ¹⁶ - محمد البشير الابراهيمي، الآثار، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 1، 1997م، ج 3، ص 281.
- ¹⁷ - لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2008م، بيروت، لبنان، ص 177.
- ¹⁸ - لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص 177.
- ¹⁹ - محمود فهد حجازي، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2003م، القاهرة، ص 21.
- ²⁰ - المرجع نفسه، ص 179.
- ²¹ - عبد العزيز بلفقيه، التعدد اللغوي واللبس الدلالي وأثره على التعلم، على الموقع: www.almothaquaf.com تاريخ الزيارة 2017/07/26 على الساعة: 10:10.
- ²² - محمود فهد حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، ص 27.
- ²³ - المرجع السابق، لويس جان كالفي، ص 199.
- ²⁴ - المرجع نفسه، ص 199.
- ²⁵ - محمود فهد حجازي، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2003م، القاهرة، ص 18.
- ²⁶ - المرجع نفسه، ص 18-19.